# مفهوم الخلافة الإلهية للإنسان في القران الكريم وكتابات العلماء المسلمين

م. د. عبد الرضا حسن جياد
جامعة القادسية ـ كلية التربية

**الملخص**

يعد القران الكريم من مصادر دراسة التاريخ الاصدق لانه تنزيل من عزيز حكيم، واهمية هذا الموضوع تكمن في تاريخية الخلاقة الالهية للانسان في مصدر صادق كريم هو القران، وما الخلافة الالهية للانسان في الأرض إلا تعبيراً عن ارادة الله عز شأنه في استخلاف من ميزه عن كافة مخلوقاته بالفضل والحكمة والاراء بامانة وايجابية، ومن خلال ما جاء في الآية الكريمة الثلاثين من سورة البقرة قال تعالى : **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }** وكانت السبب الذي وفقني لاختيار هذا الموضوع وتقديم حيزاً تاريخياً عن الاستخلاف والخلافة في منظور القرآن الكريم، فكان البحث في المصادر وكتب التفسير، والمراجع التاريخية مجتمعة فلم اجد ضالتي ، إذ وجدت ان اغلب المفسرين لكلمة "خليفة" لم يقصدوا المعنى الغوي القاموسي في تفسيراتهم، ولكن ما وجدته في كتاب "الفتوحات المكية" لابن عربي وكتابات عبد الكريم الجيلي عن الفكر الصوفي، حيث وجدت ما اتمنى ما اجد.

درست في هذا البحث "الخلافة لغة واصطلاحاً ، والخلافة في المفهوم القرآني، رجوعاً إلى معاجم اللغة، واراء العلماء، وخلق الانسان في منظور القرآن الكريم، معززاً بالايات الكريمة، ومكونات الانسان، واراء ذوي الاختصاص من المفسرين، وضم البحث بين طياته وثناياه مباحث تناولت الانسان وحقيقة الاستخلاف، متضمنه التكوين والتشريع، الحقيقة والاعتبار، الامانة والتكليف، وحقيقة الاستخلاف في مفهوم علماء المسلمين، واخيراً نسأل الله عز وعلا عن يوفقنا ويسدد إلى الخير خطانا انه السميع المجيب.

## مفهوم الخلافة:

### الخلافة لغة:

اتفق العلماء إلى ان هذا الاشتقاق اللغوي، اسم يصلح استعماله لمطلق الجنس، فلذلك فهو ينطبق على الذكر والانثى، من دون تحديد، بحيث ينتفي التخصيص لاحدهما، عند الاطلاق، وهذا ما وجدناه لديهم في مصنفاتهم المبثوثة ارؤاهم فيها.

قالوا: (خلف فلان فلاناً، إذا كان خليفته، خلف في قومه خلافة، ويقال: خلفت فلاناً، خلف تخليفاً، واستخلفته انا جعلته خليفتي، والخلافة: الامارة، واستخلف فلان فلاناً جعله خليفة)، والامانة هي الخليفة، وانه الخليفة بين الخلافة والخليفة)[١].

قال ابن الانباري: (الاصل في هذا انه ماخوذ من (خليف) بغير هاء، على وزن (فصيل) وضعت الهاء للمبالغة وهو يستعمل على حد سواء للزيادة في المدح، وهو من حيث التصريف نفس التركيب الصرفي لصلاحه ونسابه)[٢].

وخلفه يخلفه صار خلفه، واختلفه اخذه من خلفه، واختلفه وخلف واخلفه جعل خلفه، قال النابغة [٣]:

**حتى إذا عزل التوائم مقصراً**

**ذات العشاء واخلف الاركاحا**

وجلست خلف فلان أي بعده، والخلف: الظهر[٤]، والتخلف التأخر، والخلف بالتحريك والسكون كل من يجيء بعد من مضى[٥]، واخلف فلان خلف صدق في قومه أي ترك فيهم عقباً، والخالفة: الامة الخالفة الامة الباقية، والامة السالفة لانها بدل ممن قبلها [٦].

وخلفه في قومه، كان خليفته، واستخلفه جعله خليفته [٧]، (ان يجيء شيء بعد شيء).

### الخلافة اصطلاحاً:

وجدنا في اقوال بعض العلماء، واهل الفن والاختصاص في مختلف ابواب المعرفة، وخصوصاً المفسرين منهم من خلال التقصي في اقوالهم، وما يؤكدون عليه في بيان وتحديد هذا المصطلح، بانهم يريدون بها، هو مطلق الاستخلاف للغير، سواء تحقق بالاثر المادي، وبالحكم المولوي والارشادي، كما ذهب إليه علماء الاصول، وهذا ما تبين من خلال النظر في اقوالهم.

قال الجرجاني: (الخلافة معنى كل ينطبق على كثير عند اهل المنطق، وفي اصطلاحنا، انه يراد به الانسان، لان الله هو الذي ميزه عن سائر مخلوقاته، بين ما هو حسن، وما هو قبيح، على ما ذهب إليه اهل الاعتزال [٨]، واما عند غيرهم فهو لاداء رسالة السماء عن طريق الوحي الالهي بما كلف الله سبحانه وتعالى به

الانسان، لاداء من المولوية، وفيه قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ}[٩]، وهو شامل لمطلق الاستخلاف واداء الافعال بما يبلغون عن طريق الانبياء عليهم السلام، بعد اثبات رسالاتهم بالمعجزة الالهية والتي تختلف بحسب حال النبي ورسالته)[١٠].

قال الطبرسي: (الخليفة هو كل من استخلف من الامر، من كان قبله، وهو مأخوذ من مطلق المعنى اللغوي، ومن مطلق استعمالاته العرف للمتبادر من هذا الاستعمال، وانه قائم على من خلف غيره وقام مقامه) [١١]. قال الزمخشري: (ان الخليفة هو كل من خلف غيره) [١٢]. قال الشربيني: (الخليفة من يخلف غيره، وينوب عنه، وهو يشمل مطلق الانسان، سواء كان نبياً ام غيره، لانه مستخلف لله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم، وتنفيذ امره فيهم، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه، بل لقصور المستخلف عليه، عن قبول فيضه، وتلقى امره، بغير وسيط، والاخير هو الداعي لبعث الانبياء والرُسل، وهو الذي يميزهم عن بقية جنسهم)[١٣].

قال ابن الجوزي: (الخليفة هو القائم مقام غيره، فلذلك يقال: هذا خلف فلان، وخليفته، فهو منتزع ممن يقوم مقام غيره في مطلق التكاليف)[١٤].

قال محمد رشيد رضا: (الخلافة معنى يشمل كا ما ميز الله به الانسان على سائر المخلوقات)[١٥]، وقد يرد هذا الاستعمال كثيراً عند علماء الكلام ، إلا انهم يستخدمونه في اغلب الاحيان بما يراد من مفهوم الامام [١٦]، (حيث انهما يستعملان بمعنى واحد دون اختلاف جوهري في هذين الاستعمالين، فلذلك عرف عند اغلبهم بما يفيد تطبيق اوامر الله سبحانه وتعالى عن طريق الادلة العقلية والسمعية)[١٧].

## الخلافة في المفهوم القرآني:

لقد ورد لفظ الخلافة بمختلف تصاريفه اللغوية في مواضع مختلفة في القرآن الكريم. ونلاحظ في مختلف هذه الايات انها اكدت على مفهوم عام لهذا الاستعمال ويمكن القول من خلاله، بانه سبحانه وتعالى أراد مطلق استخلافه للانسان بتنفيذ اوامره، وحمل امانته، وايصال رسائله إلى بني البشر، من اجل اختبارهم، واكمال السعادة ي نفوسهم، لبلوغ الدرجة المثلى في دار الدنيا والدار الاخرة، لذلك وعد الله سبحانه وتعالى من نفذ اوامره، بالحسنى وزيادة، وتوعد من تخلف عن ذلك، وهذا واضح من الايات الكريمة، التي يمكن حصرها فيما يأتي:

**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}**[١٨].

وقال تعالى : **{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن**

بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ }[١٩].

وقال تعالى: {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ }[٢٠].

وقال تعالى : {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}[٢١].

وقال تعالى: {أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[٢٢].

قال تعالى : {وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[٢٣].

وقال عز وعلا: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[٢٤].

وقال عز وعلا: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}[٢٥].

وقال تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}[٢٦].

{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }[٢٧].

{هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً}[٢٨].

{فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ }[٢٩].

{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }[٣٠].

{قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }[٣١].

**{فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً}**[٣٢].

**{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}**[٣٣].

ومما تقدم من الايات الكريمة، نجد ان القصد من الخطاب سواء كان مباشراً أو غير مباشراً من الكلمات "خليفة"، واستخلف، تعني الانسان حصراً أي ان الخليفة هو الانسان.

**خلق الانسان في منظور القرآن الكريم:**

ان خلق الانسان في القرآن الكريم ، ومن خلال الايات الشريفة التي وردت فيها الاشارات للخلق، لم تدع مجالاً للشك أو لاجتهاد أو ريبة أو شبهة.

فخلق الانسان في القرآن الكريم، هو ليس اكثر من تراب **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }** [٣٤]. وان تعددت مسميات وهيآت هذا التراب، فهو تارة تراب، وتارة حمأ مسنون، واخرى طين لازب، وتارة رابعة صلصال كالفخار.

**{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}**[٣٥].

**{ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ}**[٣٦].

**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}**[٣٧].

**{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ}**[٣٨].

**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }**[٣٩].

**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء }**[٤٠].

لقد ارتفع القرآن الكريم بالانسان قدراً عالياً، وارتقى به عن اية شبهة، يقال بها انه منحدر من اصل حيوان وسما به عن أي تقول من انه طارئ في خلقه من طفرة لا قصد فيها ولا حكمة.

**{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }**[٤١].

**{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ**

**وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }**[٤٢].

**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}**[٤٣].

**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {28}فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }**[٤٤].

مما تقدم من الايات الكريمة تدل دلالة قاطعة، ان الاصل التركيبي للانسان قد اعزه الله وكرمه حين خلقه من تراب وماء ثم احسن خلقه وجعله في احسن تقويم، وجعل وجوده من التزاوج والتناسل ، وهو يقطع الطريق امام كل القائلين بالاصل، الحيواني للانسان، لقد خلق الله عز وعلا ادم من تراب، وجعل خلقه سوياً ووهبه، العقل والحكمة وعلمه العلوم كلها، وذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قصة سيدنا آدم عليه السلام، وخطاباً للقصص يتقبله بما يوافق الايمان والعلم بقيم الحياة وكان خطاباً من امر الغيب، يوجب الايمان ، وليس بغاش على مؤمن ان يتبع نشأة الحياة من المبدأ إلى المعاد.

## الانسان وحقيقة الاستخلاف:

### التكوين والتشريع:

**التكوين:** لقد بات وضاحاً مما تقدم ان الانسان خلق بتكوينه ذا غرائز وطباع يشترك فيها بكثر مع الجنس الحيواني، فمن قوى شهوية وغضبية، تكاد ان تغلب على وجوده لولا ما ميزه به الباري عز وجل، من عقل رادع، وموجه في ان واحد.

فشهوات الانسان وطباعه التكوينية، تدفعه لان يملك كل شيء لنفسه، يستحوذ على ملكية ما هو جائز وغير جائز، وهذه ناجمة عن غرائز متأصلة في نفسه.

لقد خلق الانسان بطباعه الساذجة وغرائزه الحيوانية، لا يختلف شيئاً عن جنس الحيوان، وخير شاهد على ذلك حياته البدائية التي عاشها في الغابات والكهوف متصارعاً متقاتلاً متنافساً مع الحيوان، لا يختلف عنها في نوع طعامه ولا طرز لباسه، ولا اساليب دفاعه اللهم إلا ما استودعه الله اياه من اوليات العقل الذي اخذ يتطور مع حياته عبر تاريخها، وتقدم عليها تقدماً ليس بذي شأن، واستغرق هذا اجيالاً واجيالاً، بل آلافاً من السنين، مبتدأ بطهي طعامه، ونسج ملابسه، وصنع وسائل دفاعه، وما يحتاج إليه من ادوات منزلية، تطورت وتطورت، إلى ما نراه اليوم. فأصبح تفكيره رائداً ليس للحاضر فقط، بل اصبح يمتلك صورة حياة المستقبل لعشرات أو لمئات السنين القادمة.

**التشريع:** بحكم ما يميز الانسان، بهذا العقل الساذج ابتداء، العبقري انتهاء،

اختصه الله عز وعلا ليخاطبه خطاباً مباشراً، يذكره بماضيه، وينبهه لحاضره، ويحذره لمستقبله، ويحمله الامانة التي اشفقت من حملها السموات والارض، وهو اختصاص حكيم من لدنه سبحانه وتعالى ، ليجعل خليفة بمستوى الرسالة، والتكليف الالهي، سواء في حياته الاولى أو الاخرة.

فقد اختص الله تعالى الانسان بالعقل، ليكون هذا العقل المخاطب بالتشريع ، رقيباً، اميناً، حافظاً للانسان "التكوين" من الغرابة والضلال، ويرشده إلى الهداية وحسن المآل، فالتشريع حاكم مهيمن على "التكوين" وهي ارادة الهية جمعت في الانسان "حيوانيته" وادميته.

فيالها من حكمة الهية عظيمة، وارادة حكيمة، نقلت هذا المخلوق من مصاف بهائم المخلوقات، ليقف الوحيد امام الباري عز وجل، يسأله عن الامانة، وكيف تعامل مع التكليف، فان احسن فله الحسنى وزيادة، وان اساء فله الحطمة والجحيم.

## الحقيقة والاعتبار:

**الحقيقة:** ان وجود الانسان حقيقة ، وان اختلفت اوجه هذه الحقيقة، من جيل إلى آخر، أو من انسان إلى آخر من نفس الجيل، فالانسان هو الانسان، وجوده وفعله، وتطلعاته، وما يترتب على ذلك من تفاصيل الالتزام بهذا المفهوم من ايمانه وملكية.

فبنو ادم متساون امام الله سبحانه وتعالى، لا فرق للون على آخر، ولا لجنس على غيره، في عرق أو شراب أو طعام، فكلهم لآدم وآدم من تراب ، هذا من حيث الحقيقة.

**الاعتبار:** اما من حيث الاعتبار ، فان الله سبحانه وتعالى شاءت ارادته الحكيمة ان يجعل من بني آدم، درجات، وفضل بعضهم على بعض، فأختار منهم اولي العزم، وجعل لكل ذي عزم رسالة، واختصهم من بني آدم، لرحمة منه، ولمواهب ونعم الهية اسبغها عليهم، ليكونوا شهداء على الناس ، وحججه عليهم، وهم يحملون رسالاته ليبلغوا بها، ويرشدوا الناس إلى الهداية ويجنبهم الغواية.

ان صفة "النبوة" أو "الرسالة" هي صفتان اعتباريتان، ولذلك فان مواقع الملوك والقياصرة، والأكاسرة، والاباطرة، والامراء، هي صفات اعتبارية لان اصحابها هم اناس ولا يختلفون عن ابناء جنسهم من البشر، لولا التكليف والاختصاص الالهي لهم بحمل رسالاته إلى الناس.

وكذلك فان مفهوم الملكية وان تعددت جوانبه وترادفت مزاياه، فهو ليس مفهوماً حقيقياً للملكية، بل مفهوم اعتباري، فالانسان مهما عظمت ملكيته وترامت اطرافها، فانه حتماً سيغادرها ، ليرثها بعده الابناء، ومن ثم الاحفاد، حتى تقوم الساعة التي لا ريب فيها. فيكون الملك يومئذ لله، فلا يبقى مالك لملكه، ولا ملك

لمالكه، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام.

من ذلك يتبين لنا ان التكوين والحقيقة خاصتان بالانسان وطباعه، ونجد ان التشريع والاعتبار خاصتان بالله تعالى وارادته.

**الامانة والتكليف:**

**اولاً: الامانة:**

جاء في قوله تعالى :

**{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }**(٤٥).

ان الامانة تعني الاستعداد الفطري للتكليف، وهي صفة تميز بها الانسان في تكوينه وخلقه، ليصرف بها قوى الطبيعة ، مع السلطان على البر والبحر والزرع والضرع واستعداده لحمل الواجب وعمل الخير والشر، وهو عارف مؤمن بالجزاء، وهو اهل للحساب.

والامانة هي الطاعة لله سبحانه وتعالى ومعرفة حدوده لما تميز به الانسان من قوة عاقلة.

والامانة وردت في القرآن الكريم في خمسة مواضع فمرة بجاءت بمعنى الوديعة:

**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ}**(٤٦).

إلى قوله تعالى:

**{فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ}**(٤٧).

وجاء في سورة النساء:

**{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ}** (٤٨).

وكذلك اقترنت الامانة والعهد:

**{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}**(٤٩).

اكد القرآن الكريم الانسان اهل للتكليف والانسان مسؤول عن عمله.

**{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}**(٥٠).

**{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**(٥١).

والتكليف قائم على ثلاثة اركان:

**1- التبليغ:** لقد القى تعالى الحجة على عباده حين بعث فيهم الرسل والانبياء.

**{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}**(٥٢).

**{وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ}**[٥٣].
**{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}**[٥٤].

**ثانياً: العلم:**

وحث القرآن الكريم الانسان على العلم بعد ان ألهمه الله تعالى آيات:
**{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{ 3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{ 4} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}**[٥٥].
**{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**[٥٦].

**ثَالثاً: العمل:**

العمل في القرآن الكريم مشروط بالسعة سعة الانسان المكلف وطاقته، وبالسعي الذي يرضاه لنفسه ولربه.
**{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}**[٥٧].
**{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}**[٥٨].
**{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ {7}وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ }**[٥٩].

فالانسان اكرم الخلائق واعظمها شأناً بهذا الاستعداد المتفرد بين المخلوقات.
**{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}**[٦٠].
**{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}**[٦١].
**{سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}**[٦٢].
**{سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ}**[٦٣].

فالانسان منتخب للتكليف، وهو يحمل الامانة الالهية في الأرض، وهذا ما يؤكد علمية الخلق الالهي الذي لم يكن لاجل عيش في حياة دنيا، موزعة على مأكل ومشرب ومجموع ملاذ دنيوية مجهولة ومنقطعة، اذن فالانسان بوجوده الحقيقي والاعتباري، هو مكلف بخلافة الله سبحانه وتعالى في الأرض بما اودع لديه، من ملكات الادراك، وحمل الامانة عبر تاريخيتها وتاريخية اجيال بني ادم المتعاقبة والمنتخبة لهذا التكليف، والايمان بالمثول امام الباري عز وعلا.

ان أول خليفة هو آدم عليه السلام، ثم استمر بقية الانبياء في الأرض، فهم خلفاؤه من بعده، وكان الرسل اولوا العزم الخمسة، وكانوا جميعاً يبلغون رسالات سماوية عالمية، غاياتها الهداية والارشاد، فقد جاءوا بالوعد والوعيد والبشارة والانذار.

**حقيقة الاستخلاف في منظور علماء الإسلام:**

**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}**[٦٤].

قال الطبري: (اختلف اهل التأويل في قوله تعالى: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)**، فقال بعضهم أي فاعل. وحدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين ، قال حدثني حجاج عن جرير بن حزام ومبارك عن الحسن وابي بكر الهذلي وقتادة قالوا: قال الله للملائكة **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً )** قال: (لهم اني فاعل)[٦٥].

قال ابو جعفر: (والصواب في تأويل قوله تعالى **{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}** أي مستخلف في الأرض خليفة، فصير فيها خلقاً، وذلك اشبه بتأويل قول الحسن وقتادة)[٦٦].

والخليفة (الفعلية) خلف فلان فلاناً في هذا الامر إذ قام مقامه فيه بعده كما قال جل ثناؤه **{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}**[٦٧]يعني بذلك انه ابدلكم في الأرض منهم فجعلكم خلفاء، ومن ذلك يقال للسلطان الاعظم خليفة [٦٨].

لما أراد الله عز وجل ان يخلق آدم، امر بتربة من الأرض كما حدثنا ابو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا بشر بن عماره عن ابي روق عن المضمان عن ابن عباس، قال: ثم امر الرب - تبارك وتعالى بتربة آدم فرفعت، فخلق الله آدم من طين لا ترب-الازب- اللزج الطيب- من حمأ مسنون- منتن- قال: وانما كان حمأ مسنون بعد التراب، قال : فخلق آدم بيده"[٦٩].

(اذكر يا محمد **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }** يخلفني في تنفيذ احكامي فيها وهو آدم)[٧٠].

**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}** انه تعالى لم يذكر في هذه الآية وجه الحكمة على التفضيل في تخليق الانسان [٧١].

**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}** هذا السياق يشعر بان الخلافة انما كانت خلافة الله تعالى، لا خلافة نوع من الموجود الارضي، كانوا في الأرض قبل الانسان ، وانقرضوا ثم أراد الله ان يخلفهم بالانسان، كما احتمله بعض المفسرين، وعلى هذا فالخلافة غير مقصورة على شخص آدم عليه السلام، بل بنوه يشاركونه فيها من غير اختصاص [٧٢].

مما تقدم نجد ان الانسان حصراً هو خليفة الله في الأرض، وتقع على كاهله مسؤولية كبيرة كلفه الله به، من خلال ما علمه اياه من علوم، مقرونة بالعمل، كي يؤدي وظيفته، والغايات الاساسية من الاستخلاف والتكريم الالهي له بذلك.

**{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }** وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة من الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم فيكون التخصيص خلاف المقصود [٧٣]، وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله **(في الأرض خليفة)** فكانا مفعولين، ومعناه مصير في الأرض خليفة [٧٤]، "والظاهر ان الأرض في الآية جميع الأرض من المشرق إلى المغرب، وروى عبد الرحمن بن ساب عن النبي (ص) انه قال: حيث الأرض من مكة وكانت الملائكة تطوف في البيت، وهم اول من طاف به في الأرض. والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه، قال الله تعالى : **{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ}** [٧٥]**،{وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء}**[٧٦].

فاما ان المراد بالخليفة من؟ ففيه قولان احدهما انه آدم عليه السلام ، وقوله **{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا}** المراد ذريته لا هو[٧٧].

**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ }**أي: واذكر يا محمد إذ قال ربك لملائكة، واقصص على قومك ذلك وقوله تعالى: **{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }** أي قوماً يخلف بعضهم، وقرئ من الشاذ : "اني جاعل في الأرض خليفةٍ" قالوا ربنا ما يكون ذلك الخليفة؟ قال: له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً [٧٨]. قال ابن جرير: فكان تأويل الآية على هذا : اني جاعل في الأرض خليفة مني، يخلفني في الحكم بين خلقي، وان ذلك الخليفة هم آدم عليه السلام، ومن قام مقامه في طاعة الله، واما سفك الدماء من غير خلفاءه[٧٩].

ويبدو لنا وضوح الخلافة وارادته عز وعلا بالتكريم الرباني لادم وذريته، وتميزه اياهم عن سائر المخلوقات، ومنحهم هبة الهية مقصودة من لدنه العظيم، لهذا التمييز الذي هو القاعدة الاساس لتحمل الامانة والتكليف الالهي للانسان، وتجتمع ارادة الخالق عز وعلا زائداً المكون الالهي للانسان واعلى مراتب ذلك المكون هو العقل الذي افرد به الانسان، دون غيره من المخلوقات ، فأجتمعت الهبة الالهية بالعقل والحكمة لدى الانسان، والعزم والاداء بخصوص الامانة والتكليف، ليظهر الانسان الخليفة بالحرص والطاعة والتقبل، كل ذلك مقرون بالحساب والعقاب والثواب الرباني في يوم آخر ابدي.

**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }** قال ابن جرير: قال سعيد: عن قتادة في قوله تعالى **{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }** فاستشار الملائكة في خلق آدم، فقالوا: **{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء }** وقد علمت الملائكة ان لا شيء اكره إلى الله من سفك الدماء والفساد في الأرض، **{وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لك}** قال: **{قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}**، فكان من علم الله انه سيكون من تلك الخليفة انبياء ورسل وقوم صالحون ساكنوا الجنة [٨٠]، قال وذكرنا عن ابن عباس انه كان يقول: ان الله لما أخذ آدم قالت الملائكة: ما الله خالق خلقاً اكرم عليه منا، ولا اعلم منا، فأبتلوا بخلق آدم، وكان خلق مبتلى

كما ابتليت الأرض والسموات بالطاعة [٨١] **{ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً }: {أَتَيْنَا طَائِعِينَ}**، وقوله تعالى: **{وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لك}** قال عبد الرزاق: عن قتادة: :التسبيح: التسبيح، والتقديس: الصلاة، وقال السدي، عن ابي مالك، وعن ابي صالح، عن ابي عباس، وعن مره ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة **{ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لك}**قال: ويقولون نصلي لك ونعظمك ونكبرك [٨٢].

**الإنسان الكامل ومهمات الاستخلاف في المنظور الصوفي:**

آثرنا ان نتناول هذا الموضوع لنستبين العلاقة بين الانسان الكامل والخالق سبحانه وتعالى، وهو موضوع كما يراه الصوفيون موجوداً ينقسم إلى نوعين:

موجود محض: هو - ذات الله - وموجود ملحق بالعدم، وهو ذات المخلوقات، فهي موجودات اضافية [٨٣].

اما ذاته تعالى فهي عبارة عن نفسه التي هو موجود، وهو تعالى قائم بذاته، وتظهر الصفات الالهية في الانسان الكامل بتمامها، فالعبد الكامل هو المرآة الالهية، وذلك بعكس العبد الصفاتي الذي تتجلى عليه الصفة الالهية، فيقبل منها على قدر حاله [٨٤]، وتظهر الصفات الالهية في الانسان الكامل على النحو الاتي.

١ - الحياة: الله هو الحي، وحياته هي الحياة التامة، فلا يحلق بها ممات، اما الخلق فحياتهم اضافية، يلتحق بها الممات والفناء، والانسان الكامل تظهر فيه الحياة في صورتها التامة، فهو موجود لنفسه وجوداً حقيقياً لا اضافياً وعلى ذلك فالانسان الكامل عند الجيلي، الحي التام [٨٥].

٢ - العلم: والله هو العليم، والعلم صفة نفسية ازلية لازمة للحياة وكما ان الانسان الكامل مظهر للحياة التامة التي تقوم عليها كل حياة، فهو كذلك مظهر العلم التام، الذي يعلم منه كل عظيم، فالانسان الكامل لا يحجب عنه أي شيء [٨٦].

٣ - الارادة: هي تجلي امر الله على حسب ما يقتضيه علمه وحكمته، وهي اختيار الهي محض، فالله مختار في الاشياء، ومتصرف فيها لا عن ضرورة، ولكن بحكم المشيئة[٨٧].

والارادة كما هي صفة ذاتية للحق ، فهي كذلك صفة ذاتية للانسان الكامل، فالانسان الكامل يفعل ما يشاء [٨٨].

٤ - القدرة: قوة ذاتية تكون الله على الحقيقة، ومنها اسمه (القادر)، والقدرة هي ابراز المعلومات، واختراع الاشياء من العدم إلى الوجود [٨٩].

وهكذا يذهب الجيلي في صفات الحق بالانسان الكامل ولكن ذلك لا يعني

انه يرفع الانسان الكامل إلى مرتبة الالوهية، فكل تلك المنح الالهية والمكاسب التي وصل إليها الانسان الكامل هي في النهاية عطية ربانية لا تنسب على الحقيقة للمخلوق، وانما هي درجة رفيعة اوصلها إليه الله سبحانه وتعالى [٩٠].

ولكن الامر المهم هنا، ان ابن عربي، لا يتحدث عن (مطلق الانسان)، و(الانسان الحيواني) حيث قال: (... فان الله لما احب ان يعرف، لم يكن يعرفه إلا من هو على صورته، وما اوجد الله على صورته أحداً، إلا الانسان الكامل، لا الانسان الحيوان، فاذا حصل حصلت المعرفة المطلوبة، فأوجد لظهور عليه الانسان الكامل، لا الانسان الحيوان)[٩١].

وعلى ذلك فعندما يقول ابن عربي، بان الانسان هو المظهر الخارجي للتجلي الالهي، وان معرفة الله تستحيل بدون هذا المظهر، وان الانسان للحق بمنزلة انسان العين من العين...الخ، فانه يقصد هنا الانسان الكامل فقط، وليس الانسان الحيوان الناقص"[٩٢].

**الانسان (الخليفة) ومهمات الاستخلاف:**

إذا كانت الآية الكريمة **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }**[٩٣]، مدخلاً لكتابة بحثنا هذا، والمنطلق التي بدأت الفكرة منه، فان الآية الكريمة **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }** [٩٤]، ستكون الغاية التي تكمل هذا البحث وتختمه.

نحن نعتقد ان تفسير كلمة (ليعبدون) لا تعني فقط العبادة بمعناها العام المتداول، والذي يتبادر إلى الذهن، بانه محصور باداء الفرائض، والاركان الدينية الاخرى، من صوم ، وصلاة، وحج، وزكاة وغيرها ، بل ان هذه تشمل أو تتضمن معنى اكبر واوسع من هذه المعاني التي تقدم ذكرها.

والعبادة رغم اهميتها كوسيلة من وسائل الاقرار بربوبية الله تعالى [٩٥]، ولكن هذا التفسير وكما نعتقد يبقى قاصراً عما اراده الله تعالى من الجن والانس في عبادتهم اياه عز شأنه، فالعبادة بمعنى يتساوى فيها غير ان الله تعالى - لا نعتقد- انه يريد من عباده ذلك فقط فالايمان الذي لا يكون مقروناً بالمعرفة، سيبقى فهمه قاصراً، لا يتمكن الانسان - ان بقى في دائرة قصوره هذا- ان يؤدي دوره في الاستخلاف، وينهض بالامانة الذي حملها بعد اشفاق السماوات والارض منها.

ان اركان الخلافة هذه ثلاثة، فهناك المستخلف وهو الله تعالى، والمستخلف وهو الانسان والمستخلف عليه: هو اخوه الانسان والطبيعة.

ان الله جل وعلا، أراد ان يعرفه عباده، كي يعملوا على طاعته وحفظ حدوده، ،ان يكون العبد عارفاً بنفسه وبربه، بما وهبه من استعداد للتفكير والتأمل والبحث في اياته التي وصفها الله عز شأنه دستوراً للحياة الدنيا والاخرة المنشودة، يتم استيعابها وفهمها والاستهداء بها عن طريق الهبة الكبرى الالهية - هبة العقل

والتفكير- واللذان ميز بهما الانسان (الخليفة) عن بقية الكائنات.

## وظائف ومهمات خليفة الله في الأرض:

نستطيع اجمال وظائف ومهمات الانسان "الخليفة" بما يلي:

1- عمارة الأرض: وتعني عمارة الأرض استصلاحها واعدادها للحرث، ولا تعني بناءها، بالقصور الشاهقة والعمارات الباسقة، وان كانت هذه ضمناً، لكن عمارة الأرض تعني اصلاح نفوس اهلها وهدايتهم إلى مسالك الخير والهداية، وابعادهم عن طريق الضلال والغواية، والفساد وتضييع حدود الله ، عمارة الأرض تعني صلاح القلوب، وطهارة النفوس، ونقاء السرائر، واقفال مداخل الشيطان، والظلم والفجور، الاسترشاد بشرائع الرسل والانبياء، الهادفة إلى خلاص بني الانسان من ادران الشرك والنفاق، والسير بهم إلى سبيل الهداية والايمان.

2- العدالة: من الوظائف الاساسية للانسان، امضاء منهج العدل، فقد خاطب الله تعالى الانسان بان يحكم بالعدل منصفاً بني جنسه من نفسه، امراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. واصلاً ارحامه ، مؤتياً ذوي القربى حقهم، موازن علاقاته في المجتمع، باراً بوالديه، عاملاً باداءه، عازفاً عن نواهيه، محققاً بذلك جوهر رسالات التوحيد في الايمان، وهجر الشرك، ومن وظائف الخليفة في استخلافه ان يحسن التعامل مع الطبيعة، فيتعامل معها كما امره الله عز وجل، في استخراج معادنها واستثمار غلالها، وفق ما تقتضيه الحكمة الالهية، بلا تبذير ولا اسراف، ولا تقتير ولا اتلاف، والخليفة مكلف ان يحافظ على البيئة وسلامتها بما يكفل ويضمن صلاحها، ولكن يضمن مواصلة الاجيال البشرية الحياة فيها، والعيش في كنفها، حتى يشاء الله بان تقوم الساعة.

3- العبادة (المعرفة): ان عبادة الله أو "معرفته" هي الوظيفة الاساسية للانسان، و"المعرفة" هي السبيل الوحيد للوصول إلى الحقائق المجهولة، والاسرار الخفية، التي تسير هذا الكون، والمعرفة التي أراد الله عز شأنه ان يصلها للانسان، لم يصلها الانسان بعد، وهو وان تمكن لحد الان من قطع شوط لا بأس به، لكنه لازال في بداية الطريق، وما زال امامه الكثير الكثير.

ان المعرفة المتوجبة الاحاطة بها من قبل الانسان، هي المعرفة المبتناة على احتواء جميع العلوم الحالية منها، والتي ستتفرع عنها في المستقبل، وهي جميعها تتوحد ويسخرها الانسان باتجاه معرفة حقائق الكون، والقوانين المتحكمة فيه، والمسيرة له، لتوصل من بعد ذلك إلى معرفة الله تعالى، وتنفيذ ارادته كما استخلفه فيها، وخيرما نسوقه مثالاً لتوضيح ما نقصده "الحديث القدسي":

"عبدي اطعني تكن مثلي تقول للشيء: كن فيكون"

أي عبدي اعرفني المعرفة الحقة، فستكون مثلي، وستتعامل مع الاشياء كما اتعامل معها، وبمثل ارادتي، هذه قطعاً لا تتم إلا من خلال استيعاب الانسان لكافة

العلوم في هذه الاشياء، وكذلك في الكون كله، اذن فمعرفة الله تعالى الكاملة لم يتوصل إليها الانسان بعد، وهنا نقصد المعرفة ذات المعاني الايمانية العامرة في القلوب، قلوب المؤمنين، ومنذ بدء رسالات الانبياء عليهم السلام، ولا نقصد معرفة الله الحقيقية العلمية، لا المعرفة الساذجة، التي يعتقد بها بعض المؤمنين، عند تصور للخالق عز وعلا، وهيأة جلوسه للكرسي، وعلاقته بالملائكة:

ان معرفة الانسان لله تعالى هي الغاية الاساسية من خلقه ووجوده، وهي الغاية التاريخية للارادة الالهية في استخلافه في الأرض، وحين يوفر مستلزماتها، فيصل حتماً لتحقيق هذه الغاية، ومن خلال المعرفة سيكون للانسان دور كبير في ترتيب نظم، وقوانين الكون، وسيدخل بها وفق ما أراد الله عز شأنه في كيفية انهاء هذه الحياة وابتداء الحياة الاخرة.

## الخاتمة

ان ما جاء في طيات هذا البحث يوضح اهمية معرفة وادراك الارادة الالهية في اختيار الانسان خليفة في الأرض، وما يجب علينا كعرب ومسلمين، الذي خاطبنا الله تعالى بلغتنا، وعلى لسان رسوله العربي الكريم (ص)، هادياً ايانا إلى طريق الايمان مرشداً ايانا للسير على شريعته السمحاء، متجاوزين التخبط في دياجير الشرك.

علينا ان نعي دورنا كورثة لخليفة خلفاء الخلفاء في هذه الأرض، وفقاً لما جاء في الآية (30) من سورة البقرة التي بينت وبدون ادنى شك الارادة والحكمة الالهية في استخلاف الانسان وللاغراض العامة المبينة وبشكل وجيز في هذا البحث لخلافة الانسان في الأرض، وقد مر ذكرها جميعاً في متن هذا البحث، مؤكداً عز وجل على تشريف الانسان في هذا الاستخلاف.

ان اختيار الانسان عز وعلا لهذه المسؤولية والتكليف لم يكن إلا لحكمة ربانية جليلة المعاني والاهداف، ولاجراء الارادة الالهية في الأرض، والنهوض بحمل الامانة بعد ان اشفقت من حملها السماوات والارض، وليكون الانسان بمستوى خليفة الله في ارضه، بعد ان وهب الله تعالى الانسان دون غيره من المخلوقات الهبة الكبرى "العقل البشري" وهذه ميزة اسهمت في اداء حمل الامانة الالهية بعد ادراكها كقيمة سماوية، على الخليفة المستخلف ادائها، وبشكل عقلاني متكل على ارادة الهية عليا في ارض الله وبمفهوم ايجابي لكي يعمر في الأرض - ارض الله عز شأنه- ومن ذلك يميز عنصر الخير من عنصر الشر في اداء الانسانية جمعاء وعلى ذلك يتم الثواب الالهي والعقاب في يوم آخر، الذي لن يفوز في خلود ذلك اليوم في جنة الله إلا عنصر الخير من ذرية خليفة الله عز وجل.

واخيراً نقول: **{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}**[٩٦]. صدق الله العظيم.

---

## هوامش البحث

(١ ) ابن منظور، محمد بن كرم، ت 711هـ، لسان العرب، صححه، امين محمد عبد الوهاب، العبيدي محمد الصادق، بيروت، دار احياء التراث العربي، بلا تاريخ، 183/4.
(٢ ) الفراهيدي، الخليل بن احمد، ت 175هـ، العين، تحقيق مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد، بلا تاريخ، 238/3.
(٣ ) ابن منظور، لسان العرب، 182/4.
(٤ ) المصدر نفسه.
(٥ ) المصدر نفسه، 184/4.
(٦ ) المعجم الوسيط، اشراف عبد السلام هارون، بيروت، دار الاحياء العربي، 250/1-251.
(٧) ابن زكريا، الحسن احمد بن فارس، 365هـ، مقاييس اللغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، 1999، 21/2.
(٨) انظر: الشهرستاني، ابو الفتح محمد عبد الكريم، 537هـ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه، 1968، 160/1.
(٩) الانعام/ 165.
(١٠) الجرجاني، الشريف علي بن محمد، 816هـ، التعريفات، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1970، ص225.
(١١) الطبرسي، ابو الفضل بن الحسين، 548هـ ، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1/ 73.
(١٢) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1/ 124.
(١٣) تفسير الخطيب، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بلا تاريخ، 43/1.
(١٤) ابو الفرج جمال الدين بن علي، ت 597هـ، زاد المسير في علم التفسير، طهران، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر، 1964، 60/1.
(١٥) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، 259/1.
(١٦) عماره، محمد، المعتزلة والثورة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، بلا تاريخ، 28/3.
(١٧) الحكيم، محمد تقي، الاصول العامة للفقه المقارن، دار الاندلس للطباعة، بيروت، 1973، 174.
(١٨) البقرة/ 30.
(١٩) الانعام/ 133.
(٢٠) هود/ 57.
(٢١) الاعراف/ 169.
(٢٢) الاعراف/ 69.
(٢٣) الاعراف/ 74.
(٢٤) النور/ 55.

(٢٥) الانعام/ 165.
(٢٦) النمل / 62.
(٢٧) ص/26.
(٢٨) فاطر/39.
(٢٩) يونس/ 73.
(٣٠) يونس/14.
(٣١) الاعراف/169.
(٣٢) مريم/59.
(٣٣) يونس/92.
(٣٤) آل عمران/ 59.
(٣٥) المؤمنون/ 12-14.
(٣٦) السجدة/ 6-9.
(٣٧) الروم/ 20.
(٣٨) يس/ 36.
(٣٩) الحجرات/ 13.
(٤٠) النساء/ 1.
(٤١) التين/ 4.
(٤٢) الاسراء/ 70.
(٤٣) البقرة/ 30.
(٤٤) الحجر/ 28-29.
(٤٥) الاحزاب/ 72.
(٤٦) البقرة/ 282.
(٤٧) البقرة/ 283.
(٤٨) النساء/ 58.
(٤٩) المؤمنون/ 8.
(٥٠) الطور/ 21.
(٥١) البقرة/ 134.
(٥٢) يونس/ 47.
(٥٣) فاطر/ 24.
(٥٤) الاسراء/ 15.
(٥٥) العلق/ 3، 4، 5.
(٥٦) البقرة/ 3.
(٥٧) البقرة/ 286.
(٥٨) النجم/ 39.
(٥٩) الزلزال/ 7، 8.
(٦٠) الاسراء/ 70.

(٦١) التين/ 4.
(٦٢) لقمان/ 20.
(٦٣) الحج/ 65.
(٦٤) البقرة/ 30.
(٦٥) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، ت 310هـ، جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبعة الثالثة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة، 1968، 1/198-199.
(٦٦) المصدر نفسه، 1/199.
(٦٧) يونس/ 14.
(٦٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ، 1/90.
(٦٩) المصدر نفسه، 70.
(٧٠) المجلي، جلال الدين محمد بن احمد ، (ت822هـ) ، السيوطي جلال عبد الرحمن الرحمن بن ابي بكر، (ت911هـ) ، تفسير الجلالين، قدمه وعلق عليه عبد الكريم راجح، منشورات دار النهضة، بغداد، ص8.
(٧١) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التميمي، ت604هـ، اسرار التنزيل وانوار التأويل، دار الكتب، بغداد، بلا تاريخ ، ص8.
(٧٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، المطبعة التجارية، بيروت، 1/115-116.
(٧٣ ) الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، 2/152.
(٧٤ ) المصدر نفسه.
(٧٥ ) يونس/ 14.
(٧٦ ) الاعراف/ 69.
(٧٧ ) الرازي، التفسير الكبير، 2/152.
(٧٨) ابن كثير، عماد الدين، ابو الفداء، ت774هـ، تفسير القرآن العظيم، اعتنى به عبد السلام الزعبي، شركة الارقم بن ابي الارقم، 1996، 1/101.
(٧٩) المصدر نفسه.
(٨٠) ابن كثير، التفسير العظيم، 1/102.
(٨١) المصدر نفسه.
(٨٢) المصدر نفسه، 1/103.
(٨٣) زيدان، يوسف، الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي، دار النهضة العربية، بيروت، ص69.
(٨٤) المصدر نفسه.
(٨٥) زيدان، الفكر الصوفي عند الجيلي، ص87.
(٨٦) المصدر نفسه.

(٨٧) المصدر نفسه.
(٨٨) زيدان، المصدر نفسه، ص83.
(٨٩) المصدر نفسه.
(٩٠) المصدر نفسه.
(٩١) الفتوحات المكية، دار الكتب العربية، بيروت، بلا تاريخ، 266/2.
(٩٢) زيدان، يوسف، الفكر الصوفي، ص90.
(٩٣) البقرة / 30.
(٩٤) الذاريات/ 56.
(٩٥) اضافة إلى الاقرار بخالقيته والوهيته عز شأنه.
(٩٦) البقرة/ 286.

## مصادر البحث ومراجعه


* القرآن الكريم
- الجرجاني، الشريف ابو الحسن علي بن محمد، 816هـ، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جلال الدين محمد بن احمد المحلي، ت825هـ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، 911هـ، تفسير الجلالين، علق عليه الشيخ عبد الكريم راجح، منشورات دار النهضة، بغداد.
- ابن الجوزي، ابو الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي، ت 590هـ، زاد المسير في علم التفسير، المكتبة الاسلامية، طهران ، 1964،
- الحكيم، محمد تقي، الاصول للفقه المقارن، دار الاندلس، بيروت، 1973.
- الخطيب، الشربيني، تفسير الخطيب، مكتب ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التميمي، ت604هـ، اسرار التنزيل وانوار التأويل، دار واسط للطباعة والنشر، بغداد.
- رضا، محمد رشيد، تفسير المار، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة.
- ابن زكريا، الحسن احمد بن فارس، ت 365هـ، مقاييس اللغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، 1999.
- الزمخشري، جار الله بن محمود بن عمرو538هـ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت.
- زيدان، يوسف، الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي، دار النهضة العربية، بيروت.

- الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاؤه.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، المطبعة التجارية، بيروت.
- الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسين، 548هـ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة الحياة، بيروت.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت 310هـ، جامع البيان عن تأويل القرآن، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة، 1968.
- تاريخ الرسل والملوك، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1969.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، 1980.
- ابن عربي، ابو بكر محمد بن محي الدين، ت 560هـ، الفتوحات المكية، دار الكتب العربية، بيروت، 1980.
- عماره، محمد، المعتزلة والثورة، شركة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة.
- الفراهيدي، الخليل بن احمد، 175هـ، معجم العين، تحقيق د.مهدي المخزومي، وعبد الستار السامرائي، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، بغداد، 1982.
- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء، ت 774هـ، التفسير العظيم، اعتنى به عبد السلام الزعبي، شركة الارقم بن الارقم، بيروت، 1996.
- ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم، ت 711هـ، لسان العرب، صححه امين محمد عبد الوهاب العبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
- هارون، عبدالسلام، ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.


## ABSTRACT

The Quran is considered one of truthful history sources of the study, because it is deducted from the Wise. The importance of this issue lies in the historical creativity of human beings in the divine truthful source, which is the Holy Koran. What divine succession of man on earth but an

expression of the will of God (Glory to God) as an advantage of all his creatures credit, wisdom and views honestly and positively, and what came in the Koran of Baqrah verse 30th:

[**30**] And (remember) when Your Lord said to the angels: "Verily, I am going to place (mankind) generations after generations on earth." They said: "Will You place therein those who will make mischief therein and shed blood, - while we glorify You with praises and thanks (Exalted be You above all that they associate with You as partners) and sanctify You." He (Allâh) said: "I know that which you do not know."

The reason for selecting this topic and provide historic space for Khilafa and Khilafa in the perspective of the Holy Quran. The search was in the books, sources interpretation, and historical references together did not find astray, and found that most explicators of the word “Khalifa" did not intend on lingual & lexicon meaning in their interpretation, but what I found in the book "Mecca’s’ Conquests" to Ibn Arabi, Abdel Karim Gaily of Sufism intellect, where there is what I wish.

I studied in this research "Khilafa as term & idiom and the Khilafa in the Quranic concept, back to the language dictionaries, and the views of scientists, human rights creating in Holy Quran, enhanced with Quranic verse, and the components of Human, the professional opinions of explicators. The research included investigations dealt with Human and the fact of replacement (succession), containing composition & legislation, the truth & mind, the secretariat & commissioning, and the fact of replacement (Khilafa) in the concept of Muslim Scholars, and, finally, we ask God to guide us to do goodness.